

إستدعاء شخصيات الأنبياء والرسل ﷺ في شعر محمود مفلح (دراسة في المضمون والفن)

Summoning the personalities of the prophets and
messengers – peace be upon them – In the poetry of Mahmoud Mufleh

بحث تقدم به
أ. د. شاكر محمود عبد السعدي
الجامعة العراقية / كلية الآداب
الباحث وسام مزهر عبد الحميد الراوي
طالب دكتوراه في كلية الآداب / الجامعة العراقية

Summary:

Heritage received the attention of the poet Mahmoud Mufleh, so he worked on selecting some of his facts, events and personalities, and he summoned these characters represented by the prophets and messengers – peace be upon them – in a manner that suits the conditions of the lived reality, as he intended to download them with contemporary connotations, transcending the ages and gaining them a presence that carries the crises and tragedies of the Islamic poet. The poet, by invoking these bright historical models, is looking forward to returning to that glorious past to take from him the Flame that illuminates the corners of his contemporary poetic experience. This study highlighted the poet's extensive culture in our religious heritage, with what he summoned from the personalities of the prophets and messengers, and that if the nation wants to rise from its repression, it must return to its religious and historical heritage; To draw lessons and lessons from it that will improve its present and anticipate its future.

الملخص

حظي التراث باهتمام الشاعر محمود مفلح فعمل على انتقاء بعض وقائعه وأحداثه وشخصياته، وقام باستدعاء هذه الشخصيات المتمثلة بالأنبياء والرسل - عليهم السلام - بما يتلاءم وظروف الواقع المعيش حيث عمد إلى تحميلها دلالات معاصرة متخطيًا بذلك العصور ومكسبًا إياها حضورًا يحمل في ثناياه أزمات الشاعر الإسلامي ومآسيه. فالشاعر من خلال استدعائه لهذه النماذج التاريخية المشرقة يتطلع إلى العودة إلى ذلك الماضي المجيد ليأخذ منه القبس الذي يضيء زوايا تجربته الشعرية المعاصرة. وقد ابرزت هذه الدراسة ثقافة الشاعر الواسعة في موروثنا الديني بما استدعاه من شخصيات الأنبياء والرسل وأن الأمة إذا أرادت أن تنهض من كبوتها لابد أن ترجع إلى موروثها الديني والتاريخي؛ لتستخلص منه الدروس والعبر التي تتكفل بتحسين حاضرها واستشراف مستقبلها.

* * *

* * *

المقدمة

تُعد شخصيات الأنبياء والرسل - عليهم السلام - من أكثر شخصيات التراث الديني ذيوعًا في الشعر الإسلامي المعاصر على وجه الخصوص. ولا غرو فقد أحس هؤلاء الشعراء بأن ثمة وشائج وثيقة تربط بين تجربتهم - الشعراء الإسلاميين - وتجربة الأنبياء - عليهم السلام - إذ أن كلا منهما يحمل رسالة إلى أمتة يحاول بوساطتها أن يرشداهم إلى طريق الصواب وكلا منهما - كذلك - يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته، ولكن الفارق بينهما - النبي والشاعر - أن رسالة النبي سماوية.^(١) لقد وضع الأستاذ محمود مفلح هذه الشخصيات التاريخية السامية تحت مجهر الرؤية الإسلامية؛ بعدها رمزًا لقيم الحق والخير ونشر الفضيلة من خلال تنظير الماضي بالحاضر وصولاً إلى مجتمع يسوده نظام العدل والقيم الإسلامية الصحيحة.^(٢) ويمثل حضور هذه الشخصيات القدرة على تقديم دور فاعل ومحوري في المجتمع الإسلامي المعاصر الذي

يفتقد وجود نموذج إسلامي قادر على تخليصه مما ألمّ به.^(٣) واتخذ الشاعر محمود مفلح من التاريخ الإسلامي وسيلةً فنيةً لصياغة تجربته الشعرية، واستحضر العديد من شخصيات الأنبياء والرسل - عليهم السلام - وفي غير موضع محدد وكما يأتي:

• المطلب الأول: نبي الله نوح (عليه السلام)

سيدنا آدم شخصية جليلة لها مكانتها المهمة في التاريخ الإنساني أجمع وتأريخ الأديان، فهو أبو الأنبياء ومثال للعطاء المتجدد، والمنهل العذب الذي ترتوي منه مشاعر المؤمنين التي تنضوي تحت لواء الإسلام وعقيدته السمحاء.^(٤)

وتُعد شخصية نوح - عليه السلام - من الشخصيات الإنسانية التي كان لها حضورًا كبيرًا في الشعر الإسلامي؛ لما تتسم به من واقعية في التفاعل مع الأحداث المختلفة التي اعترتها أثناء مسيرة حياتها ابتداءً بالدعوة المضنية.^(٥) التي استمرت ألف سنة إلا خمسين عاماً لتنتهي باستحالة إيمانهم - قوم نوح - وتصديقهم بما جاءهم به وعندها يقول تعالى على لسان نوح - عليه السلام - ﴿وَقَالَ

(٣) يُنظر: المرجع نفسه، ص ١٢٧

(٤) يُنظر: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، د. صابر عبد الدايم يونس، دار الشروق، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط ٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ١٥

(٥) يُنظر: استدعاء شخصيات ما قبل الإسلام في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، محمد رافع غالب القاضي، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠١٤م، ص ٢١٩

(١) يُنظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د. علي عشري زايد، دار الفكر العربي، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ١٩٩٧م، ص ٧٧

(٢) يُنظر: الشخصية الإسلامية في الرواية المصرية الحديثة - تحليل ونقد -، د. كمال سعد خليفة، مكتبة العبيكان، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ١٢

ويستجير فيه الناس من براثن الشيطان
بـالشـيـطـان!!^(١)
يحمدُ الشاعرُ ربه على نعمة الثبات على الإيمان
في زمنٍ كثر فيه الضعف والهوان، وتَرَكَ طريق الله
وسلوك طريق الشيطان وما فيه من شهوات وموبقات
وبُعد عن عبادة الله - سبحانه وتعالى -، وشاعرنا
يتكئ على المنبع الديني المتمثل بالقرآن الكريم في
ذكره لمدى انحراف الناس في هذا الزمن عن طريق
الهداية الرباني والذي يشبهه بترك الناس لعبادة الله
وتوجههم لعبادة الاصنام، وهو ما يُشير إليه من خلال
ذكره لأسماء الآلهة التي كان يعبدونها الناس في زمن
نبي الله نوح عليه السلام وهي: «يغوث، يعوق، سواع»،
ويشبه واقعه المُعاش بذلك الواقع السيء الذي كان
يعيشه قوم نوح عليه السلام، فالشاعر يستحضر
شخصية هذا النبي الكريم والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً
بحادثة الطوفان لينقذه من ظلمات هذا العصر
الذي يعيشه، من خلال دعوته إلى ركوب سفينة
النجاة. وفي الوقت نفسه يحمّد الله - جلّ وعلا -
على نعمة الإيمان التي مكّنته من الصعود على
ظهر سفينة النجاة وتركه المفسدين بعد تيقنه من
استحالة العيش معهم. وقد مثلت شخصية نبي الله
نوح عليه السلام وسفينته طريق الخلاص للشاعر،
والمنجاة من الظلم الماحق، والمصير السوداوي
الذي خيّم على الناس، والتطلّع إلى غدٍ مشرقٍ يكون

نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦١﴾
[نوح : ٢٦] ليأتي بعد ذلك النداء الرباني لنوح
- عليه السلام - ببناء السفينة وما تبعه من قصة
الطوفان التي انتهت ومهدت لولادة مجتمع إسلامي
جديد.^(٢) لقد جسّدت هذه الشخصية الكثير من
الدلالات والعبر ومنها: الصبر في الواجب الرباني
الذي يُكلف به المسلم مهما طال أمده، والغيرة على
الحق، والرّهد في الدنيا، وقد مثلت - كذلك - رمزاً
للتغيير في الواقع الذي تعيشه الأمة في ظل بعدها
عن المنهج الرباني.
يقول الأستاذ محمود مفلح في قصيدة: (جزيرة
الإسلام):

الـحـمـدُ لله
الذي انقذني من الضلال والضياح
وَأَنْ أَكُونَ فِي حَظِيرَةِ الذَّنَابِ وَالْمُضَارِبِينَ وَالرَّعَاعِ
وَالنَّاسِجِينَ رَايَةً لِرَبِّهِمْ "يَغُوث"
أَوْ "يَعُوق" أَوْ "سَوَاع"
الحمْدُ لله الذي بصرني بالفجر واليقين
وقَالَ لِي: اركب
وقبل أن يبتدئ الطوفان
ويختفي الزمان والمكان
فإنَّه العصر الذي يَفْقُدُ فيه المرءُ ظلَّهُ
ويسكنُ الهوان

(١) يُنظر: محاولات جديدة في النقد الإسلامي، د. عماد
الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق - الجمهورية العربية
السورية، بيروت - الجمهورية العربية اللبنانية، ط١، ١٤٢٨هـ/
٢٠٠٧م، ص ٢١٩

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، محمود مفلح، بورصة الكتب
للنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ج٢، ط٢،
٢٠١٨م، ص ٨٧-٨٨

فيه الإسلام أعظم شأنًا. فالشاعر يرى في سفينة
نوح عليه السلام الأمل المنشود بالنصر على الظلم
والنجاة بدين الإسلام. ونلاحظ تكرار الشاعر لجملته
«الحمد لله» والذي أكد من خلاله الفرحة الكبيرة
التي تنتابه لنجاته من الانجرار وراء تلك التيارات
الفاسدة، وركوبه سفينة الحق.

ونلاحظ - كذلك - تكرار الأفعال المضارعة
«يبتدئ، يختفي، يفقد، يسكن، يستجير» التي
أفاد الشاعر من خلالها في عرض صورة متكاملة
تتسم بالاستمرارية للواقع المظلم الذي يعيشه
الشاعر، ومما يزيد هذه المعاني وضوحاً وتأكيداً
مجيئ التقديم والتأخير في: «يفقد فيه المرء ظله»
و«يستجير فيه الناس».

وفي قصيدة أخرى للشاعر بعنوان: «عُشَّاق
الفجر» نجده يقول فيها:

فافتحوها نوافذَ الفَجْرِ إنَّ الرِّيحَ
هَبَّتْ تَبُوحُ بِالْأَسْرَارِ
وارفعوها القُلُوبَ فِي أَوَّلِ
الضُّوءِ فَهَذِي مَوَاسِمُ الْإِبْحَارِ
لا تخافوا فباسمِ رَبِّي تجري
هذه الفلك باسمه الْقَهَّارِ
هذه أمة الفوارس فاقرأ
ما يشاء الزمانُ من أخبار
تنجب الليث بعد الليث يجري
فقطار الليث أي قطار
فاقرأوا ذكركم رخيماً قوياً
في الضحى في المساء في الأسحار

وتأسَّؤوا فإن فيه عِظَاتٍ
واقطفوا منه يانعات الثمار
واقروا السيرة التي ينفخ الكون
شذاها.. فيا لطيب القرار!!
واقروا واقروا التراث فليس
الهدي أن تمتحوا من الآبار^(١)
يدعو الشاعر أبناء أمته أن يتربوا قدوم الفجر
الذي سيحمل لهم تباشير النصر وجلاء سحب
الظلام التي خيَّمت عليهم. وهو ما يشير إليه
الشاعر من خلال تأكيده بدء موسم الإبحار معلناً
انطلاق سفينة الحق التي ستقل المؤمنين صوب
شاطئ الأمان. وهنا نجده يستدعي شخصية نبي
الله نوح عليه السلام وهو يقود سفينته وسط الطوفان
العظيم والأمواج العاتية وهو يطمئن المؤمنين بأن هذه
السفينة تسير باسم الله الذي تكفل بحفظها ورعاية
من فيها. ويتكئ شاعرنا في استدعائه لشخصية نبي
الله - نوح عليه السلام على المصدر الديني المتمثل
بالقرآن الكريم وبالأخص سورة هود التي تناولت هذا
الموضوع بالتفصيل. ويفتخر الشاعر بقدرة الأمة
الإسلامية على التجدد ونفض رماد الهزيمة، وفي
الوقت نفسه يدعو للتمسك بالتراث الإسلامي، وسيرة
نبينا الأكرم - عليه الصلاة والسلام - باعتبارهما الأمل
بالنصر وسفينة النجاة التي تعبر بهم إلى شاطئ
الأمان كما هو الحال في سفينة نوح عليه السلام التي

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، محمود مفلح، بورصة الكتب للنشر
والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ج١، ط٢، ٢٠١٨م،
ص ٧٥-٧٦

تولى قيادتها نبي الله نوح عليه السلام وعبر بالمؤمنين إلى بر الأمان. إن الشاعر ومن خلال استلهامه لهذه الشخصية الإسلامية يدعو أبناء قومه إلى الصبر والثبات في مواجهة الأعداء، والتحلي بالشجاعة والغيرة على الحق، والمضي في طريقه دون خوف أو وجل. ومن الملاحظ غلبة الجمل الطلبيية التي تبدأ بفعل الأمر والتي أفاد الشاعر من تكرارها في توجيه خطابه إلى أبناء قومه وتأكيد على ضرورة تمسكهم بالسيرة النبوية الشريفة، ونهلهم من التراث الإسلامي العظيم.

المطلب الثاني

نبي الله يوسف (عليه السلام)

تمثل شخصية نبي الله يوسف - عليه السلام - المنبع الثر الذي نهل منه أغلب الشعراء الإسلاميين، وأكثروا من استدعاء هذه الشخصية في شعرهم وخصوصاً في عصرنا الحديث؛ لما لها من مواقف صوّرها القرآن الكريم أجمل تصوير في السورة التي سُميت باسم هذه الشخصية المباركة.^(١) والتي تكفّلت بعرض هذه الشخصية على شكل حلقات مترابطة، وكل حلقة تمثل فترة زمنية معينة مرّت بها هذه الشخصية، هذه الحلقات التي جسّدت الكثير من الدلالات والعبر والتي تضمنت: الجمال المطلق، الغربة، البراءة، الصبر والاحتساب عند البلاء، الأمانة، حُسن العاقبة، العفو عند المقدرة،

والأخذ بالأسباب.^(٢) ومن العبر التي تضمنتها - كذلك - أن الإخلاص لله - سبحانه وتعالى - هو من أكبر الأسباب لحصول الخير للإنسان الملتزم ودفع الشر عنه، وأن الفرج دائماً يأتي بعد الكرب. وهو ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۚ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ﴾ [الشَّح: ٤ - ٦] والمسلم ليس له ملجأ إلا الله فهو الوحيد القادر على دفع الضرر عن المسلم الذي أضاء بصيرته بالإيمان ويمتلك اليقين الراسخ من رحمة ربّه مهما اشتدت عليه الكروب. لقد عبّرت - هذه الشخصية - حاجز الزمن الماضي لتجسد جوانب كثيرة من الحاضر المعاصر المليء بالظلم والاضطهاد. ولقد كان للأستاذ محمود مفلح وقفة مع سورة يوسف - عليه السلام - استلهم منها الكثير من العبر والدلالات ليتمكن من مواجهة هذا الواقع المظلم الذي يعيشه. ومن ذلك قوله في قصيدة: (ومقصي غرامه التقليل):

سَافِرِي حَيْثُمَا تَشَاءُ الْغُيُومِ
وَاهْطُلِي مَرَّةً فَإِنِّي عَقِيمٌ
سَنَوَاتٌ مَرَّتْ عَلَيَّ عَجَافٌ
صَوَّحْتُ^(٣) حِنْطَةً وَجَفَّتْ كَرُومُ
وَتَوَقَّفْتُ حَائِرًا لَسْتُ أَدْرِي
لَا أَنَا غَامِضٌ وَلَا مَفْهُومُ!

(٢) يُنظر: استدعاء شخصيات ما قبل الإسلام في الشعر

العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، محمد رافع غالب

القاضي، ص ٢٤

(٣) التصوّح هو التشقق في الشعر وتصوحت بمعنى يبست

(١) يُنظر: أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث، د.

شلتاغ عبود شرّاد، دار المعرفة، دمشق - الجمهورية العربية

السورية، ط ١، ١٩٨٧م، ص ١٦٨

لأنهم كانوا متهيئين لهذه الفترة العصبية. وتمرُّ سنوات الجذب هذه ليأتي بعدها الخير والصلح الذي عقب الشر والغدر، لقد ربط الشاعر من خلال استدعاء هذه الأحداث بين الواقع الذي يعيشه ومشابهته للواقع الذي مرَّ به نبي الله يوسف عليه السلام وصبره واحتسابه وحكمته على ما تعرض له من ظروف كثيرة، منها القحط والظلم والغدر وغيرها لكنه صبرَ بما يمتلك من إيمان راسخ.

ومن اللافت للنظر تكرار الجمل الطلبية التي تبدأ بفعل الأمر والتي عبّر الشاعر - من خلالها - عن عدم تأثره بالمفاهيم السلبية التي انتشرت في زمنه. ونلاحظ الطباق بين «غامض، مفهوم» والذي بيّن حيرة الشاعر من تصرفات أبناء أمته وعدم سماعهم له.

وفي قصيدة أخرى بعنوان: «أنا» يقول فيها:

عودي فديتك فالأبواب موصدة
ودونها ألفُ أخدودٍ وأخدود
عودي فإنَّ سُؤالي لم يَزَلْ قَلْبًا
والجرحُ لَمَّا يَزَلْ مِنْ غيرِ تَضْمِيد
عودي فللنارِ في أعصابنا ضرم
وكَلَّنا بينَ مقتولٍ ومفقود
تأمّر البحرُ والقبطانُ وأنطلقت
كُلَّ الغرابينَ مِنْ أوكارِ «هوليوود»
عودي فإنَّ قَميصي قُدَّ مِنْ دبرِ
وصاحبُ السجنِ مشغولٌ بتهويدي!

ونحنُ نركبُ ظهرَ النائباتِ بنا
تَجري الأعاصيرُ مِنْ يَدٍ إلى يَدٍ

صَارِحيني فإنني لستُ غراً
فأنا مثلك العَشيقُ القَدِيم!
لَمْ تَزَلْ تُنْجِب الرُّؤى كلماتي
لَمْ يُجفَّف رحيقُها التعتيم!^(١)
يتعرض الشاعر لمحنة عظيمة في زمانه الذي يعيش فيه تتمثل في تصوّح كل شيء ينبض بالحياة، ويتبع ذلك تلاشي القيم الانسانية والعواطف والأهداف السامية، وأصبح الناس يسيرون باتجاه معاكس لاتجاه تلك المبادئ القويمة إلى درجة تجعل الشاعر يتوقف متسائلاً متهكماً هل أن هؤلاء الناس ينفرون من أشعاره الملتزمة بسبب غموضه وتعقيده. ووسط هذه التساؤلات نجده يصرُّ على الوقوف بوجه هذا المدّ الجارف الذي أخذ معه كل القيم والمبادئ والمثل التي كانت موجودة في مجتمعه لتسود فيه لغة الغدر والقتل والفساد.

فالشاعر يصرُّ على ثباته على مبادئه وقيمه معلناً عدم تأثره بتلك السلبيات؛ بل أنه سيكون عنصراً بارزاً في تغيير تلك المفاهيم السلبية، ونجده يستحضر شخصية نبي الله - يوسف عليه السلام من خلال إشارته لسورة يوسف التي تناولت هذه الشخصية الإسلامية بالتفصيل، فالشاعر يتكلم على لسان نبي الله يوسف عليه السلام عندما مرّت بهم - الأزمة الاقتصادية - السبع سنوات العجاف والتي تصوّح فيها كل شيء، لكنها لم تؤثر عليهم؛

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، محمود مفلح، ج ٢، ص ٢٦٩-٢٧٠.

لَوْ كُنْتُ أَعْبُرُ لِلرُّؤْيَا لَقُلْتُ لَكُمْ:
إِنَّ الثَّعَالِبَ تَلْهُو بِالْعَنَاقِيدِ
لَوْ كُنْتُ أَعْبُرُ لِلرُّؤْيَا لَقُلْتُ لَكُمْ:
ضَاقَ الْفَضَاءُ عَلَى أَبْنَاءِ "دَافِيدَ"
نَعَمْ أَغْرَدَ فَالتَغْرِيدُ يُطْرِبُنِي
إِنْ مَسَّ عَاطِفَةً فِي قَلْبِ جَلْمُودِ^(١)
يستعرض الشاعر واقعه المُعاش الذي يسود في
الجبروت والطغيان وما يتبعهما من ظلم ماحق.
ويجد أن المتسلطين جاثمون على رقاب الشرفاء
من أبناء الأمة الإسلامية، ونجده هنا يستدعي
شخصية النبي يوسف عليه السلام عندما فُسر رؤيا
الملك ومن خلال هذه الرؤيا تمكنوا من الاستعداد
للأزمة الاقتصادية التي عصفت بهم آنذاك، والشاعر
يحسُّ من خلال هذه التجربة بتشابه كبير مع تجربته
في العصر الحاضر، ولكنه يوضح في هذه التجربة
المعاصرة عدم إمكانيةه في تعبير رؤياه بسبب الظلم
والتسلط الكبيرين. ونجده يعمد إلى تكرار حرف
الشرط «لو» والذي اشترط من خلاله أنه لو كان يعبر
للرؤيا لقال أن قرأنا الكريم قد استُبدِل بالتلمود من
قبل أولئك المتسلطين الماكريين وهم أنفسهم الذين
يتحكمون بالمقدرات والثروات، وبالتالي نجد أن
الشاعر من خلال هذا الاستدعاء الديني قد بيَّن أنه
ثابتٌ على طريق الالتزام ولنَّ يحيدَ عنه مهما كانت
الظروف، وسيحافظ على إشراقة شعره من خلال

يتكلم الشاعر عن زمن نُبِذَ فيه الشعرُ الملتزمُ،
وأصبح الشاعر الملتزم مغرّداً خارج السرب، ووسط
هذا الضجيج يعلن الشاعر تمسّكه بنهج الذي
ارتضاه في أشعاره، هذا النهج الذي ينبع من العقيدة
الإسلامية، ويرتوي من نبع القرآن الكريم. وهو يعلن
من خلال رؤيته الإسلامية الثاقبة رفضه للانحرافات
التي حلّت بالمجتمع ويصفها بالمؤامرة الكبيرة التي
تستهدف القضاء على كل شيء يسير على الصراط
المستقيم، وهنا يستدعي الشاعر شخصية نبي
الله يوسف عليه السلام من خلال حادثة القميص
مع زوجة العزيز وما تبع هذه الحادثة من مؤامرة
استهدفت النيل من هذا النبي الكريم عليه السلام،
لكن وجود القرينة المتمثلة بالقميص الذي قُدَّ من
دُبر أكدت أن الحق من جانب نبي الله يوسف عليه
السلام وفضحت سوء تدبير الماكريين، فالشاعر
يعرض موقف النبي يوسف عليه السلام الذي يرى
فيه تشابهاً كبيراً مع ما يتعرض له من مؤامرات كبيرة
بسبب ثباته على الحق، والتزامه القيم والمبادئ
الإسلامية، وعدم تزعزعه بسبب المؤامرات التي
تُحاك ضده حتى وأن كلفه الأمر السجن.

ويستلهم شاعرنا هذه الشخصية الإسلامية
العظيمة من خلال حادثة أخرى يعرض لها الشاعر
في المقطع الثاني من قصيدته قائلاً:

لَوْ كُنْتُ أَعْبُرُ لِلرُّؤْيَا لَقُلْتُ لَكُمْ:

بَاعَ الْمَمَالِيكَ: قَرَأْنَا بِتَلْمُودِ^(٢)

اليهودية ويتضمن كل ما يتعلق بالشريعة اليهودية

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، محمود مفلح، ج ٢، ص ٦٠

(١) كلمة عبرية تعني الدراسة، وهو كتاب تعليم الديانة

تبنيه لطريق المبادئ والقيم البناءة.

ويقول الأستاذ محمود مفلح في قصيدة (غزة ريحانة القلب):

لا تصبُّوا على المجازر زيتاً
لا تبيعوا الدماء كالنعناع!
لُغة الأُمسِ أسقطتها الضحايا
فابحثوا عَنْ (صَوَاعِكُمْ) في المتاع^(١)

يتكلم الشاعر عن مدينة غزة هذه المدينة المجاهدة الصابرة على ممارسات الاحتلال الصهيوني الحاقدة تجاهها، فقد وقف آبائها لوحدهم في سوح الوغى وهم يواجهون قوات الاحتلال الصهيوني مسطرين أروع صور التحدي والصمود وسط حال الذل والهوان التي كانت - ولا تزال - تسيطر على المشهد.

ويوجه الشاعر خطابه إلى أولئك المتخاذلين مطالباً إياهم بأخذ جانب الحق، وعدم الاستهانة بالدماء التي سقطت في سبيل الدفاع عن الأرض والعرض، وفي الوقت نفسه يبيِّن أن قرار أهل غزة - على وجه الخصوص - كان حاسماً في سلوك طريق المقاومة والمجاهدة ضد المحتلين، وهنا نجد الشاعر يستدعي شخصية نبي الله يوسف عليه السلام عندما تعرَّض للغدر من أقرب الناس إليه وهم أخوته، وتمكين الله - سبحانه وتعالى - له ليكون على أمنيته على خزائن مصر ويلتقي بأخوته من جديد. ويربط الشاعر هذه التجربة التي مرَّ بها هذا النبي

الكريم مع التجربة التي يعيشها أبناء غزة، فقد غدر بهم أخوتهم من أبناء أمتهم، وتخاذلوا عن نصرتهم، وتركوهم وحيدين في الميدان يجالدون هذا العدوان الغاشم. ويرى الشاعر - كذلك - أن المكافأة والفوز بالنصر ستكون من نصيب الذين ينبذون سبيل الشيطان ويجنحون إلى سبيل الحق. ومن الملاحظ تكرار الشاعر لـ «لا الناهية» والتي أراد من خلالها التأكيد على أبناء أمته أن يتركوا طريق الضلالة ويلزموا طريق النور المتمثل بإعلاء راية الجهاد ضد الكيان الصهيوني الغاشم ودعم أخوتهم المرابطين من أبناء الشعب الفلسطيني. ويقول الأستاذ محمود مفلح في قصيدة (أشهد):

كَيْفَ الوصولُ إلى الوصولِ وأنتَ دربكَ مقفله
وأنا سراجي لا يضيء سِوى
بصيصٍ مِنْ دموعِ البَسمَلِه!
وأنا شهيدُ القبلتينِ وأخوتي شَهدوا عليّ
وأقنعوا الذئبَ المِراوِغَ كي يقولَ أَكلْتُهُ...
وَحُبِّكَتْ تِلْكَ... المِهْزَلَةُ!!^(٢)

يستدعي شاعرنا شخصية نبي الله يوسف عليه السلام من خلال الموقف الذي تعرَّض له والمتمثل في تأمر أخوته عليه، وقيامهم برميهِ في البئر؛ ليتخلصوا منه بدافع الحسد، واتفقهم على أن يشهدوا بأن الذئب قد أكله. ويرى شاعرنا في هذه الحادثة التي تعرَّض لها نبي الله يوسف عليه السلام تشابهاً كبيراً مع ما يتعرض له الشاعر ومن معه من

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، محمود مفلح، ج ٢، ص ٢٩٤.

التي تكفلت بحفظه ويقذفه الحوت خارج البحر باتجاه اليابسة.^(١) لقد قدمت لنا هذه الشخصية الكثير من العبر والمواقف التي نحتاجها في حياتنا. والتي جعلت كثيراً من الشعراء الإسلاميين على وجه الخصوص يعكفون على استدعائها، والاستفادة من عبرها؛ لتجاوز الأخطاء التي يمكن أن يقعوا فيها وأبرز تلك العبر: الصبر الذي يعتبر مفتاح الفرج، التوجه إلى الخالق - سبحانه وتعالى بالدعاء والتسبيح عند الكرب؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - هو الوحيد القادر على دفع الضرر، ويضاف إلى ذلك التأني وعدم الاستعجال. وهنا نجد الأستاذ محمود مفلح يستدعي هذه الشخصية العظيمة ليصور لنا الحال التي يمرُّ بها بعد أن ضاقت عليه الدنيا.

يقول الأستاذ محمود مفلح في قصيدة (حينما تتقاطع الكلمات):

لَمْ يَلْفُظْ يُونُسَ حَوْثُ الْبَحْرِ
وَلَمْ نُبْصِرْ فِي شَاطِئِ «صِيدَا»
أَوْ «بَيْرُوت» ثِيَابَهُ
«يَا يُونُسَ» كَمْ عَاماً أَمْضَيْتَ بَيْطَنَ الْحَوْتِ
وَكَمْ شَمْساً غَيَّبَتْ لَدَيْهِ
وَكَمْ عَاماً أَسَكَنْتَ قَرَابَهُ؟
يَا يُونُسَ لَسْتَ الْأَوَّلُ
فَاحْذَرُ أَنْ تَلْقَى سَيْفَكَ

(١) يُنظر: استدعاء شخصيات ما قبل الإسلام في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، محمد رافع غالب القاضي، ص ٣٦-٣٧

أبناء شعبه المرابطين الذين لم تعرَّهم الحياة وما فيها، واتخذوا من الجهاد سبيلاً لهم، فالموقف متشابه فقد تُرك هؤلاء المرابطون في الظلام لوحدهم وسط تخاذل أخوتهم في العقيدة عن مساعدتهم ونصرتهم. ويبيِّن الشاعر من خلال استدعاء شخصية نبي الله يوسف عليه السلام وحادثة غدر أخوته به وإلقاء اللوم على الذئب وهو منه براء إنَّ مَنْ تخاذل عن نصرتهم يلقي اللوم على الذئب المتمثل بالكيان الصهيوني، وفي حقيقة الأمر أن هؤلاء المرابطين لو حصلوا على دعم كامل من أبناء أمتهم لما تمادى الكيان الصهيوني في ارتكاب المجازر ضدهم.

ومما نلاحظه هو تكرار الضمير (أنا) الذي بيِّن الشاعر من خلال تكراره عن ألمه ومعاناته بسبب ما يتعرض له من غدر.

• المطلب الثالث: نبي الله يونس (عليه السلام)

مرت هذه الشخصية العظيمة بالعديد من المواقف والحوادث وعلى فترات زمنية مختلفة، بدأ أبرزها بخروج نبي الله يونس - عليه السلام - من مدينته تاركا قومه بعد تيقنه استحالة قبولهم لدعوته. وتوجه إلى مكان آخر ليدعو فيه قوماً آخرين، وكان قراره هذا مخالفة واضحة للتكليف الرباني الذي أُنيط به. لتبدأ بعد ذلك رحلته المضنية المتمثلة بالابتلاء الذي حلَّ به عندما لجأ إلى سفينة احتبست فجاءت القرعة عليه فألقي في البحر ليلتقمه الحوت - بأمر الله - ويحفظه في بطنه، وهنا تتجسد صورة تعبر عن صبر يونس - عليه السلام - وتسبيحه لله واعترافه بخطئه، لتأتيه بعد ذلك العناية الإلهية

حتى لا يبلغ سيف «عجري» في الظلمة ظهره

ويغيب في الصدر.... نصابه^(١)

يستدعي الشاعر شخصية نبي الله يونس - عليه السلام - التي تمثل الصبر على الابتلاء والمحن بعد أن تم رميه في البحر ليبتلعه الحوت بمشيئة إلهية ومكث في بطن هذا الحوت مدة من الزمن وهو يصوّر عيشه بين صراعين أولهما: الرضا بقضاء الله وحكمه أما الآخر فهو رفض الواقع الذي يعيشه، ولكنه لا يجرو على المقاومة وليس أمامه إلا الاستغفار والتسبيح لله - عز وجل - الذي مثّل وسيلته للخروج من هذه الظلمات. ويلجأ الشاعر إلى استدعاء هذه الشخصية العظيمة؛ لأنه يرى في الحادثة التي تعرض لها نبي الله يونس - عليه السلام - موقفاً مشابهاً لما يتعرض له أبناء أمته في العصر الحاضر، فهو يرى أن هذا الاحتلال الصهيوني يشبه الحوت الذي ابتلع نبي الله يونس - عليه السلام - فهو كذلك قد ابتلع أبناء الأمة الإسلامية وبالأخص شعب فلسطين، ومارس ضدهم أشنع الممارسات، وارتكب أبشع الجرائم التي يندى لها جبين الإنسانية، ومن هذه الجرائم جريمة مخيمي صبرا وشاتيلا التي تعرض للاجتون الفلسطينيون فيها إلى التنكيل والقتل، وهو يحذرهم بأن هذه المؤامرة ليست الأولى لذلك يجب الحذر من غدرهم، وعدم القاء السلاح حتى لا يتم الغدر بهم من جديد.

ومن الملاحظ تكرار حرف الجزم «لم» والذي بين الشاعر من خلاله استمرار المحنة التي يتعرض لها وأبناء أمته، فكما هو معلوم أن لفظ الحوت ليونس - عليه السلام - دلالة على الفرج وانتهاء الكرب، وهذا الأمر بطبيعة الحال لم يتحقق مع الفلسطينيين، فالمحنة مازالت قائمة بوجود الاحتلال الصهيوني لأرضهم والمستمرة إلى يومنا هذا. ونلاحظ كذلك تكرار النداء «يا» الذي أضاف جواً من الحزن والكآبة بسبب استمرار الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين، ونلاحظ كذلك تكرار «كم» الاستفهامية الذي أراد من خلاله تسليط الضوء على طول المعاناة التي يعيشها أبناء شعبه في ظل هذا الاحتلال البغيض.

• المطلب الرابع: نبي الله موسى (عليه السلام)

لقد كانت هذه الشخصية العظيمة - ولا تزال - موضع اهتمام كثير من الشعراء الإسلاميين نتيجة لكثرة ورودها في القرآن الكريم، وارتباطها الشديد بواقع الأمة الإسلامية؛ لأن هذه الشخصية بُعثت إلى قوم امتد أذاهم إلى المسلمين حتى عصرنا الحاضر إنهم بنو إسرائيل الذين اتسموا - ولا يزالون - بالمماطلة والخبث ونكران النعم الربانية العظيمة. ويمتلك نبي الله موسى - عليه السلام - مكانة كبيرة عند الله - سبحانه وتعالى - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩] وهو المقرب منه - سبحانه وتعالى - كما تشير الآية المباركة: ^(٢)

(٢) يُنظر: فلسطين في الميزان، د. عابد توفيق الهاشمي،

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، محمود مفلح، ج ١، ص ٤٠-٤١

﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ
نَجِيًّا﴾ [مَرْيَم : ٥٢] .

يقول الأستاذ محمود مفلح في قصيدة: (جزيرة الإسلام):

لقد جسدت هذه الشخصية أروع الدروس والعبر
في مجابهة الطغاة بدون خوف، والاتكال على الله.
فقد واجه - وحده - جبروت فرعون وزبانيته وتمكّن
بقدره الله - سبحانه وتعالى - من هزيمتهم والنجاة
بقومه - بني إسرائيل - من خلال الهروب عبر البحر
إلى بَرِّ الْأَمَانِ ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ
وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البَقَرَة : ٥٠] .

وسرُّ دونَ أنْ أدِيرَ الرأسَ للوراء..
وجاءني في سحره النداء
(لقد نجوت من شركهم)
فغذ السير، غذ السير...
قَبْلَ أنْ يفوتك الـركب..
ويصدرُ الـرعاء..^(١)

يستلهم الشاعر شخصية نبي الله موسى - عليه
السلام - عندما هرب من قومه متجهاً إلى مدين -
بسلام - ولقائه بنبي الله شعيب - عليه السلام - .
ويعتمد الشاعر في استدعائه لهذه الشخصية
على المصدر الديني المتمثل بالقرآن الكريم الذي
بيّن تفاصيل هذه الحادثة التي تعرض لها نبي الله
موسى - عليه السلام - من خلال الآيتين (٢٣) و (٢٥)
من سورة القصص. ويرى الشاعر من استدعائه لهذه
الشخصية العظيمة تشابهاً كبيراً مع الموقف الذي
يتعرض له والمتمثل بهروبه من التيارات المضادة
لقيم الإسلام حاملة معها المفاهيم المنحرفة التي
اكتسحت هذا العصر وأصبحت سائدة فيه.

إن ورود هذه الشخصية في القرآن الكريم كان
له الكثير من العبر والمواعظ التي أكدت أن الحق
منتصر وإن كثر الباطل، فنصر الله في النهاية يكون
من نصيب الأخيار، وأما الأشرار فخاتمهم تكون
الذلّ والخذلان. ويجب على المسلم الحقيقي عدم
اليأس من رحمة الله مهما اشتدت عليه المصائب
والكروب. وبالتالي نجد أن هذه المعاني والدلالات
قد شكلت منهلاً عذباً ارتوى منه شاعرنا الأستاذ
محمود مفلح فجاءت الكثير من قصائده محمّلةً
بعبق هذا التراث الخالد.

يستلهم الشاعر شخصية نبي الله موسى - عليه
السلام - عندما هرب من قومه متجهاً إلى مدين -
بسلام - ولقائه بنبي الله شعيب - عليه السلام - .
ويعتمد الشاعر في استدعائه لهذه الشخصية
على المصدر الديني المتمثل بالقرآن الكريم الذي
بيّن تفاصيل هذه الحادثة التي تعرض لها نبي الله
موسى - عليه السلام - من خلال الآيتين (٢٣) و (٢٥)
من سورة القصص. ويرى الشاعر من استدعائه لهذه
الشخصية العظيمة تشابهاً كبيراً مع الموقف الذي
يتعرض له والمتمثل بهروبه من التيارات المضادة
لقيم الإسلام حاملة معها المفاهيم المنحرفة التي
اكتسحت هذا العصر وأصبحت سائدة فيه.

فالشاعر ينجح في الهرب من تلك المفاهيم
الخارجة على النهج الإسلامي ومبادئه، ودعاتها
المنحرفين، ومن الملاحظ تكرار الجملة الطلبية
التي تبدأ بفعل الأمر «غذ السير» والتي أكد من
خلالها امتلاكه العزيمة والإصرار الكبيرين في الإدبار

عن طريق الباطل والضلال والإقبال صوب طريق الحق والنور.

ويقول الأستاذ محمود مفلح في قصيدة (ما أطيّب النيل مشروباً ومغتسلاً!):

يا مصر جئتُك أطوي السهل والجبال
وأستجيرُ من الهول الذي نزلنا
ما أضاعتُ شراعَ النيلِ قافلتي
وما جعلتُ لها نداءً ولا بدلاً!

وعندما لاحَ برقُ الطُورِ قلتُ لهم
الحمدُ لله إنَّ الركبَ قد وُصِّلَا
هنا الأمانُ فلا خوفٌ ولا جزعٌ
هنا السَّحابُ الذي أملتُهُ نزلنا
هنا الإخاء الذي غابت معالمه
من ألف عامٍ هنا الوُدُّ الذي رحلنا^(١)

يستدعي الشاعر شخصية نبي الله موسى وحادثة رجوعه من مدين إلى مصر مع زوجته وما أن وصل جبل الطور رأى ناراً فذهب إليها ليستدل على الطريق الذي يوصله إلى مصر وهناك سمع نداء ربه الذي أمره أن يذهب إلى فرعون حاملاً رسالته السماوية، وبعد أخذ موسى رسالة ربّه والمعجزات التي منحه إياها ذهب إلى فرعون وحدثت المواجهة بينه وبين سحرته التي انتهت بانتصار موسى - عليه السلام - عليهم لينتهي الأمر بهربه من فرعون وانشقاق البحر وابتلاعه لفرعون وجنده. والشاعر يرى في رحلة نبي الله موسعليه السلام وما تعرض له موقفاً مشابهاً لما

يتعرض له في الوقت الحاضر، فالشاعر هُجِرَ من وطنه بسبب الاحتلال الصهيوني له، وتنقّل بين عدة دول في رحلة طويلة عانى خلالها من الأهوال والأذى حتى استقر في بلاد الشام ومنها قرر الارتحال إلى مصر ليستقر به المقام فيها، وقد وجد في هذا البلد الملاذ الآمن الذي مكّنه من الاستقرار وإعادة نشاطه الأدبي بعد أن وجد فيه الأمان والخير الوفير الذي كان يأمل في العثور عليه، ووجد - كذلك - الأخوة التي كان يفقدوها منذ مدة طويلة، ووجد في شعب مصر الحاضنة العربية التي استقبلته واهتمت به. ومن الملاحظ تكرار الشاعر ل «ما» النافية والتي أكد من خلالها وفائه لهذا البلد العربي الأصيل، وعدم نكرانه للجميل الذي قدّمه له. ونلاحظ - كذلك - تكرار اسم الإشارة «هنا» والذي أكد من خلال تكراره أن أرض مصر تمثل الأمان، والخير والوفير، والأخوة، والود والتراحم وغيرها. ونلاحظ - كذلك - التقديم والتأخير في «ما أضاعتُ شراعَ النيلِ قافلتي» والذي بيّن من خلاله رحلته الطويلة والمحفوفة بالمخاطر هذه الرحلة التي انتهت بوصوله إلى القاهرة - عاصمة مصر - بسلام وأمان. ويقول الأستاذ محمود مفلح في قصيدة (عيد آخر):

يا نيلُ جئتُك محمولاً على وجمعي
أقولُ شُدَّ أخِي هارون من عضدي
يا نيل كلَّ خيولِ الأرضِ جامحة
إلا خيولي قد شُدَّتْ إلى وتدي!^(٢)

(١) المصدر السابق، ص ١٨١.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، محمود مفلح، ج ٢، ص ٣٣٨

سبحانه وتعالى - التي لا يعجزها شيء^(١) ﴿وَجَعَلْنَا
أَبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ عَآيَةً وَعَآوَيْنَهُمَا إِلَى رُبُوعِ ذَاتِ قَرَارٍ
وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون : ٥٠] .

وتمثل شخصية نبي الله المسيح^(٢) معجزة إحياء
الموتى، وشفاء المرضى، إضافة إلى ارتباط هذه
الشخصية بالطهر والنقاء الذي مثل رمزاً عظيماً
للتضحية في سبيل الحق والمثل السماوية. هذه
التضحية التي وصلت حدَّ الصليب^(٣). لقد جسد
نبي الله المسيح - عليه السلام - رمزاً للتضحية
والافتداء فقد تعرض للصليب ولكن الموت لم ينل
منه كما أراد قومه، فقد رُفِعَ إلى السماء بالمشيئة
الإلهية وهو ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا
قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ
وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ
لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا
قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء : ١٥٧] .

إنَّ عودة المسيح إلى الأرض تمثل انتشار العدل،
ونفي الظلم وانحساره، وإعادة الحق إلى نصابه،

(١) يُنظر: القصة في القرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي،
نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية
مصر العربية، ج ٢، ط ١، ١٩٩٦م، ص ١١٧

(٢) المسيح أي المبارك وهو لقب لنبي الله عيسى - عليه
السلام - وهو واحد من أولي العزم من الرسل، ينظر: القصة
في القرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط ١، ج ٢، ١٩٩٦م
ص ١١٧

(٣) يُنظر: أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث،
د. شلتاغ عبود شرّاد، ص ١٧٢

يستدعي شاعرنا شخصية نبي الله موسعليه
السلام عند عودته إلى مصر وتكليفه الرباني بإيصال
رسالة التوحيد إلى فرعون وقومه، وطلبه من الله أن
يكون أخوه هارون سنداً له في هذه الدعوة، وبالفعل
هذا ما تم ولكن الأمر انتهى بتعنت فرعون ونيله
وزمرته الفاشية ما يستحقون.

ويرى الشاعر تشابهاً كبيراً بين رسالته ورسالة نبي
الله موسعليه السلام إلا أن الفرق بينهما أن رسالة
موسعليه السلام هي رسالة سماوية. فشاعرنا عندما
ذهب إلى مصر تبني رسالة وجعلها هدفه الأسمى
في هذه الحياة، فهو يرى في مصر أنها الأرض التي
ستنجب الأبطال الذين يتكفلون بطرد الاحتلال
الصهيوني؛ لذلك نجده يعكف على زراعة هذه
الأرض وإعداد العدة لهذا الأمر، فالأرض لن تنبت
زرعها الموعود دون بذل الجهود والعزيمة والإصرار.
وقد جاء توظيف شاعرنا لهذه الشخصية العظيمة
لخدمة مضامينه ودلالاته المرتبطة برؤيته الإسلامية
التي أضاءت شعره بالأفكار الإسلامية. ومن الملاحظ
تكرار النداء في جملة (يا نيل) والذي بين الشاعر من
خلاله أنه مُحَمَّل برسالة ثقيلة يطمح في إيصالها إلى
أبناء أمته ليسيروا على نهجها ويكون النصر حليفهم
في نهاية المطاف.

• المطلب الخامس: نبي الله عيسى - عليه السلام-

وهو من عباد الله الصالحين الذين أنعم عليهم
بالرسالة والنبوة، وقد كان نبي الله عيسى - عليه
السلام - وأمه مريم من أعظم الأدلة على قدرة الله -

وبطبيعة الحال هذه العودة لن تتم إن لم يأخذ المسلمون بأسباب التمكين.^(١)

لقد احتلت هذه الشخصية العظيمة مساحة واسعة في ديوان الشاعر بسبب ما تمثله من رموز الأمل للبشرية وخلصها من الجور والاستبداد.

وقد وجد الشاعر في هذه الشخصية وما تعرضت له من صلب وعذاب رموزاً ودلالات تعبر عن الواقع المرير الذي يعيشونه تعبيراً كاملاً. يقول الأستاذ محمود مفلح في قصيدة (الطقس):

وَمَـا قَـتَلُوهُ
وَمَـا صَـلَبُوهُ... وَلَكِنَّهُمْ شَبَهُوهُ
وَسَوْفَ يَـعُودُ إِلَيْهِمْ قَرِيبَا
يَـعُودُ كَمَا الْغَيْمَةُ الْمَمْطَرَةُ
وَسَوْفَ مَعَ الْفَجْرِ يَأْتِي
تُغَاوِزُهُ الْمَوْجَةُ الْمُبْحَرَةُ
يَمْدُدُّ لَهُ النَّبْعُ كَفَّ الْحَنِينِ
وَيَمْنَحُهُ الْحَقْلُ بَعْضَ السَّنَابِلِ^(٢)

يغوص شاعرنا في أعماق التاريخ ويستدعي لنا شخصية من شخصياته العظيمة، إنها شخصية نبي الله عيس عليه السلام وفي الوقت نفسه يعتمد المصدر الديني المتمثل بالقرآن الكريم الذي تناول هذه الشخصية بالعديد من آياته الكريمة ومنها الآية: (١٥٧) من سورة النساء. فالشاعر يستدعي

(١) يُنظر: التراث في شعر محمد الفتيوري، سلطان عيسى الشعار، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة - قسم اللغة العربية وأدائها، ٢٠٠٧م، ص ٣١.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، محمود مفلح، ج ١، ص ٢٧٥.

هذه الشخصية بسبب ارتباطها بحادثة الصلب. فقد صُلب المسيح؛ لأنه كان يحمل رسالة سماوية تدعو إلى الرجوع للخالق، وتبني المبادئ القويمية، لكن قومه تأمروا عليه وصلبوه وظنوا أنهم قتلوه لكن في حقيقة الأمر أن الله - سبحانه وتعالى رفعه - وسيبعثه من جديد ليقضي على الظلم والدجل الذي انتشر في الأرض، وينشر الخير والبركة. ويوظف الشاعر قصة الصلب للحديث عن شعبه وآلامه، ويرى في عودة المسيح خلاصاً للبشرية من الظلم والعذاب وأماً بسيادة الحق، وغلبة الباطل، ورجوعهم إلى ديارهم المغتصبة التي سترجع إلى حاضنة الأمة الإسلامية - ولو بعد حين - ليعم الأمن والسلام، والخير والبركة. ويحرص الشاعر من خلال استدعائه لهذه الشخصية العظيمة التي تعرضت إلى العذاب والتنكيل إلى ربطها بأبناء الشعب الفلسطيني الذي يعيشون نفس المعاناة.

ومن الملاحظ تكرار الجمل المنفية «ما قتلوه، ما صلبوه» التي أكد الشاعر من خلالها رؤيته الإسلامية التي تنبع من القرآن الكريم، وترتوي من آياته المباركة بأن السيادة ستكون للإسلام ولمبادئه، هذه السيادة التي يتبعها انتشار الخير والسلام في أرجاء الأمة الإسلامية.

ومن الملاحظ تكرار الأفعال المضارعة التي تبدأ بالحرف «سوف» والتي دلّت على الصيغة المستقبلية التي أكد الشاعر من خلالها عن تفاؤله بانتصار المسلمين على أعدائهم، وأن الحال التي يعيشونها ما هي إلا اختبار رباني يمحص صبرهم،

ويختبر إيمانهم. والشاعر من خلال رؤيته الإسلامية يمتلك اليقين الراسخ بأن نصر الله - سبحانه وتعالى - سيكون حليف المسلمين الثابتين على طريق الحق في نهاية المطاف. ونلاحظ - كذلك - التقديم والتأخير في جملة: «وَسَوْفَ مَعَ الْفَجْرِ يَأْتِي» والذي أكد من خلاله أن التبشير بالنصر المُرْتَقِب سيجعلها الفجر قريباً إلى هؤلاء المرابطين.

• **المطلب السادس: رسول الله محمد ﷺ**
يمثل تاريخنا الإسلامي المجيد أسفاراً متلاحقة بالبطولات ونماذج التضحية والفداء التي قدّمت الكثير في سبيل الرفعة والمجد، وقد خطّ الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - أولى صفحات ذلك التأريخ المجيد بشروعه في تبليغ قومه الرسالة الربانية - الإسلام - وتحمله في سبيل ذلك الأذى والقسوة والتعنت^(١) «وتمثل شخصية الرسول محمد ﷺ نموذج الشخصية الإسلامية في صورتها المثلى، ولا غرو فهو الرحمة المهداة، وهو أفصح العرب لساناً وأصفاهم جناً، وهو السراج المنير، والبشير النذير. وما زالت شخصية المصطفى - عليه الصلاة والسلام - تمدُّ البصائر المؤمنة بأروع أسرار الكلم، وأصدق آيات القصيد.»^(٢) فالرسول محمد

إن شخصية رسولنا الأكرم محمد ﷺ أعمق من أن تصفها كلمات أو عبارات، وقد كانت - وما تزال - القدوة الحسنة التي تمثل معاني الخير والإيمان والبسالة. وهي محط تقدير عند المسلمين وغير المسلمين على حد سواء.^(٣) «فما أسعد الأمة التي ورثت عن نبيّها - محمد رسول الله - مفتاح الدين والدنيا ونعم الغيب وثروته؟! وبالعكس ما أشقى تلك الأمة التي لم تتمتع بهذا المفتاح ولم تستخدم

(١) يُنظر: مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، د. الطاهر أحمد مكي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٣٢٤.
(٢) يُنظر: البوصلة القرآنية، د. أحمد خيرى، دار الفكر، دمشق - الجمهورية العربية السورية، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٤٢٧
(٣) يُنظر: قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، د. محمد أحمد المسير، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٢م، ص ١٩٧.

(١) يُنظر: الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي - دراسة تحليلية فنية، مفرح إدريس أحمد سيد، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٤٤.
(٢) الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، د. صابر عبد الدايم يونس، ص ١٠.

هذا السلاح؟^(١) وقد استحضر الشعراء الإسلاميون هذه الشخصية الإسلامية العظيمة بما تحمله من أوصاف ومواقف. يقول الأستاذ محمود مفلح في قصيدته (شكوى):

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا سَنَدِي
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ وَلَمْ أَزِدْ
يَا سَيِّدِي وَأَنَا الْمَقْتُولُ مِنْ ظَمَأٍ
وَالْمَاءُ يَجْرِي كَمَا الْيَاقُوتُ قُرْبَ يَدِي
يَا سَيِّدِي أُمَّةُ الْإِسْلَامِ مُثَخَّنَةٌ
تَعَاوَرَتْهَا سِهَامُ الْغَدْرِ وَالنَّكَدِ
أَنْتَى تَلَفَتْ لَا تَلْقَى سِوَى بَلَدٍ
يَشْكُو مَرَارَةَ أَيَّامٍ إِلَى بَلَدٍ
خَنَاجِرَ طَعْنَتْهَا وَهِيَ مَدْبِرَةٌ
وَمِثْلَهَا طَعْنَتْ فِي الصِّدْرِ لَمْ تَحْدِ
وَأُمْتِي أُمَّةُ الْإِسْلَامِ وَاجِمَةٌ^(٢)

متى سيبزغ فجر الحق يا ولدي
أين الفوارس ممن كان صوْتُهُمْ
يزلزل الأرض باسم الواحد الأحد
تحطم الخيل ترنو أين فتيتها

إنَّ الملاعب مثل الخيل لم تجد! ^(٣)
يستلهم شاعرنا شخصية الرسول الأعظم محمد-
عليه الصلاة والسلام- معلناً التزامه بالسير على

(١) نظرات في الأدب، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، مكتبة العبيكان، د.ط، د.ت، ص ٧٢.

(٢) ساكتة على الغيظ.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة، محمود مفلح، ج ١، ص ١١٨.

نهجه، ووفاءه بهذا العهد وفي الوقت نفسه يبتُّ أَلَمَهُ الكبير للحال التي وصلت إليها الأمة الإسلامية في العصر الحاضر وهي تبتعد عن النهج الذي سار عليه الرسول الكريم- عليه الصلاة والسلام- وَمَنْ تبعه من صحابته الكرام (رضي الله تعالى عنهم) مما جعل منها أمة مقطعة الأوصال، ومثخنة الجراح، بسبب الغدر الذي تعرضت له. وقد اشتدَّ حزنها إلى درجة أصبحت فيها غير قادرة على الكلام. ويتساءل الشاعر عن قدوم الفجر الذي يكتسح هذا الظلام الذي تعيشه الأمة الإسلامية في العصر الحاضر. ومن الملاحظ تكرار الشاعر لأسلوب النداء «يا سيدي» في أكثر من موضع والذي مثَّل حالة البعد عن زمن البطولة والإقدام، والألم والغربة اللذان يسيطران على الواقع الذي يعيشه. فضلا عن تكرار الاستفهام ب«متى، أين» الذي جسَّد اشتياق الشاعر ورغبته الملحة في استدعاء الزمن الماضي، هذا الزمن الذي يمثل البطولة والرفعة والتمكين.

ويقول الأستاذ محمود مفلح في قصيدة (يا أمتي):

هُوَ الرَّسُولُ فَصَلِّي يَا مَلَائِكَةَ
عَلَى الرَّسُولِ وَهَاتِي ذِكْرَهُ الْعَطْرَا
كُلُّ الصَّنَادِيدِ^(٤) أَلْقَاهُمْ تَلَامِذَهُ
إِذَا تَبَدَّى رَسُولُ اللَّهِ أَوْ خَطَرَا
مَنْ عَلَّمَ النَّاسَ آيَاتٍ مَرْتَلَةً
مَنْ أَضَاءَ سَمَاءَ الْكَوْنِ حِينَ سَرَى؟

(٤) السيد الشريف والشجاع.

ذكرها، وأكد من خلالها الدور العظيم لهذه الشخصية التي يضيق المقام بذكر فضائلها وانجازاتها. ونلاحظ أيضاً تكرار أسلوب النداء «يا» الذي بيّن حال الحزن والكآبة اللذين يعتريان نفسيته بسبب ما آلت إليه الأمة الإسلامية في العصر الحاضر، وابتعادها عن زمن البطولة والمجد.

* * *

وَمَنْ أَزَاحَ غِشَاوَاتِ مَظْلَلَةٍ
عَنِ الْعَيُونِ وَرَدَّ السَّمْعَ وَالْبَصْرَا
وَمَنْ تَأَلَّقَ كَالْإِبْدَاعِ فِي زَمَنِ
كَانَ الظَّلَامُ بِهِ يَسْتَعِيدُ الْبَشَرَا!
يَا أُمْتِي يَا شَمْوَخَ النَّسْرِ مَعَذَرَةً
إِذَا أُنِيتَ أَضْمَ الْأَمْسِ مَفْتَخِرَا
لَمْ أَذْكَرِ الْأَمْسَ كِيَا غَفُوَ بِخِيَمَتِهِ
وَلَا بَكَيْتَ عَلَى أَطْلَالِهِ سَحْرَا
لَكُنِّي قَدْ رَأَيْتَ الزَّيْفَ قَدْ خَفَقَتْ

راياته ورأيت الحق منحسرا!!^(١)
يستلهم شاعرنا شخصية الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام بعده المعلم والقُدوة الذي جاء هداية للعالمين ورحمة لهم في زمن كانوا يعيشون فيه تحت جناح الظلام مدبرين عن خالقهم - عز وجل - ومقبلين إلى التيه والضلال. وبفضل القيادة الحكيمة لهذا الرسول العظيم تألقت الأمة الإسلامية، وتبوأَت المكانة السامقة التي جعلت منها أمة مؤثرة. والشاعر من استدعائه لهذه الشخصية الإسلامية الفذة يصور حالة الضعف والبعد عن تلك القيم الإسلامية العظيمة التي كانت سائدة في عهد الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - ونلاحظ غلبة الاستفهام التقريري المتمثل ب «مَنْ» الذي وهب هذه القصيدة وقعا خاصا، ورؤية حيّة تمثلت من خلال الفضائل النبوية التي عكف الشاعر على

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، محمود مفلح، ج٢، ص ٧٢-٧٣.

ثبت المصادر والمراجع

- القاهرة- جمهورية مصر العربية، ج٢، ط١، ١٩٩٦م.
- * قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، د. محمد أحمد المسير، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٢م.
- * محاولات جديدة في النقد الإسلامي، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق- الجمهورية العربية السورية، بيروت- الجمهورية العربية اللبنانية، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- * مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، د. الطاهر أحمد مكي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- * نظرات في الأدب، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، مكتبة العبيكان، د.ط، د.ت.
- الرسائل الجامعية
- * استدعاء شخصيات ما قبل الإسلام في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، محمد رافع غالب القاضي، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت- كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠١٤م.
- * التراث في شعر محمد الفتيوري، سلطان عيسى الشعار، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة- قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٧م.
- بعد القرآن الكريم.
- * أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث، د. شلتاغ عبود شزاد، دار المعرفة، دمشق- الجمهورية العربية السورية، ط١، ١٩٨٧م.
- * الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، د. صابر عبد الدايم يونس، دار الشروق، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- * استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د. علي عشري زايد، دار الفكر العربي، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ١٩٩٧م.
- * الأعمال الشعرية الكاملة، محمود مفلح، بورصة الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ج١، ج٢، ط٢، ٢٠١٨م.
- * البوصلة القرآنية، د. أحمد خيرى، دار الفكر، دمشق- الجمهورية العربية السورية، ط١، ٢٠٠٣م.
- * الشخصية الإسلامية في الرواية المصرية الحديثة- تحليل ونقد-، د. كمال سعد خليفة، مكتبة العبيكان، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- * فلسطين في الميزان، د. عابد توفيق الهاشمي، مؤسسة الرسالة، بيروت- الجمهورية العربية اللبنانية، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- * القصة في القرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،